(الحصار والحب من أجل الانتصار) لصالح قائد الكهالي (3 -4)

مذكرات مقاتل من حصار صنعاء ٦٧ و١٩٦٨م

معركة فتح طريق صنعاء- تعز كانت مرتجلة وحطمت معنوية الجنود

المعركة الأولى مع الفريق حسن العمري :

بعد قطع طريق صنعاء ــ تعز وجدت نفسي ذات يوم في بيت الفريق حسن العمري كانت الساعة السابعة صباحا، وبدا الجنود يتساءلون: (الفريق خارج اليوم بحين ما ندري أين هو موجه بنا اليوم، طريق تعز مقطوعة والفريق يريد أن يفتحها مهما كانت النتيجة) وقال آخر: (مطار الرحبة قد أصبح تحت رحمة مدفعية قاسم منصر ومحتمل أن يهاجموا جبل براش وجبل نقم كون هذين الجبلين أهم الجبال المحيطة بصنعاء على الإطلاق) .

والمعروف عن جبل نقم انه مستودع الأسلحة والذخائر فهو أهم الجبال حول صنعاء. وهو ذو أهمية خاصة أيضا بسبب وجود المخازن الأرضية التي حفرت فيه منذ فترة طويلة. أما جبل براش فهو ارفع وخلف جبل نقم ولكنه قريب منه جدا وهو جبل حصين يسيطر على الجهات الشرقية من جبل نقم وعلى رأس نقم كذلك من الجهة الشمالية الشرقية ،كما انه امتداد لسلسة جبال مترابطة مع جبال خولان العليا وبني حشيش المجاورة لهذا الجبل الحصين ، وقد ظلت المحاولات المستمرة لاحتلال جبل براش وجبل نقم طوال فترة الحصار وحتى بعد الحصار نفسه ،وكانت القوات التي رابطت في هذين الجبلين اللذين يعتبران أكثر الجبال قربا من صنعاء القديمة مشكلة من وحدات المظلات وطلبة الكلية الحربية من الدفعة السادسة والسابعة وكان لواء النصر يحتل جبل براش وهذه الوحدات تعتبر من الوحدات الأكثر وفاء وإخلاصا لثورة سبتمبر 1962م وقد تحملت الكثير من بداية الثورة ، فقد قدم لواء النصر عشرات ومئات من الشهداء وقدمت المظلات بدون حدود ، كما قدمت كل وحدات الثورة التي تم إنشاؤها بعد قيام ثورة 26سبتمبر 1962م خدمات جليلة.

بعد الحوار بين الجنود أمام بيت الفريق العمري استعد الحرس للتحرك فقد خرج الفريق من بيته وركب سيارة سوداء من صنع أمريكي ، وكانت أشبه بسيارة كاديلاك وقد تحركت سيارات الحراسة وكان عددها أربع سيارات من نوع تويوتا طقوم مسلحة :

وأخذت السيارة الأولى تشق طريقها من بيت الفريق مارة بشارع جمال عبد الناصر ، بينما كانت (ونانات) الحريق التي زودت بها تلك السيارات ترعب المدينة ، وكان الفريق يرفع يده يحيي المواطنين الذين كانوا ينظرون إليه بسخرية واحتقار ، ولم يرفع أي مواطن يده لتحية الفريق عدا بعض العسكريين المارين في الشارع ، وبعد دقائق مر الفريق مسرعا من طريق باب اليمن واتجه نحو طريق صنعاء تعز وكان الناس يتساءلون (عما إذا كان الفريق قد خرج في الشمس الحامية لفتح الطريق بخمسة وثلاثين فردا من الحرس الجمهوري"؟)، وعندما وصلنا بيت معياد خارج صنعاء جنوب غرب جبل نقم كانت مئات القبائل تتجمع هناك استعدادا لفتح الطريق .ووقف الفريق للتفاهم مع المشايخ الذين كانوا على رأس القبائل التي صرفت لها الذخائر والأموال وكان الجندي لا يستلم حتى ربع ما يستلم القبيلي وبعدها أخذت القبائل نصيبها من الذخيرة والنقود وبدؤوا الهروب من بيت معياد إلى صنعاء ".

وكان خمسون فرداً من المقاومة الشعبية، واغلبهم من الطلبة قد لحقوا بحرس الفريق ، وبعد ساعة من الحوار بين الفريق والمشايخ وبعض الضباط اتجه الفريق بسيارته السوداء وانطلقت أمامه سيارتان من الحرس وخلفه سيارتان وألحقت عدة سيارات مدنية تحمل كمية من الذخيرة الخفيفة (والكدم) وعلى بعد كيلو متر من بيت معياد بدأت أول قذائف مدافع الهاون من سود حزيز وبيت بوس وارتل ودار سلم وكان القصف كثيفاً ارغم الفريق على أن يحول اتجاه السيارة إلى (تبة شرقا) بجانب الطريق (سميت فيما بعد تبة العمري) وقد وقعنا في هذه (التبة) أمام مرمى الرشاشات والمدافع لقوات الملكيين التي شكلت كماشة من حولنا وقد أصبحنا تحت القصف ودارت معركة عنيفة كنا فيها نتلقى ضربات قاتلة من جميع الجهات واخذ قصف المدفعية الهاون يركز على كل شبر من التبة ومن جميع الجهات، حتى خط الرجعة قطع وبعد نصف ساعة وصل إلى (التبة)العقيد عبود مهدي ومعه سيارة تحمل مجموعة من الجنود وقد اشتد القصف علينا وكان الفريق مع عبد السلام صبرة الذي كان نائبا لرئيس الوزراء للشؤون الداخلية وكان بصحبته دائما وقد ترك الفريق سيارته المقفصة مع صبرة وبعض المرافقين مثل العقيد عبود مهدي والطهيف عبد الله وهو من أرحب وملازم ثان ؛ صالح قائد الكهالي كاتب هذه السطور والنقيب سيف الخامري قائد سرية حراسة الفريق، وكان النقاش يدور حول قوة الملكيين وبينما كانوا في ذلك النقاش في إحدى الحفر وسط التبة إذا بقذيفة هاون تنفجر بجانبنا على بعد مترين وقد أصبت أنا بشظية صغيرة بحجم الإبرة الكبيرة ودخلت تحت جلد راسي، وبعدها شعر الفريق ومن معه بالموت.

فأسرع إلى سيارته المقفصة، وفي أثناء مروره في الطريق إلى السيارة بينما نقاتل من موقع إلى آخر، بأسلحة خفيفة ومتوسطة لا تصيب العدو ولاتصل إلى مواقعه ، وبعد أن غيرنا المكان إلى جزء آخر من (التبة) سقطة قذيفة أخرى فقتلت وجرحت مجموعة، وكان منهم النقيب محمد سيف الخامري الذي بترت رجله وهو قائد سرية الحرس للفريق كما سبق الإشارة وكان من ضمن الجرحى العقيد عبود مهدي الذي عرفته ذلك اليوم وكان برتبة مساعد عند قيام الثورة بجيش السعودية، حيث انضم إلى صفوف الثورة وخاض عدة معارك وحصل على ترقية، نظراً لأنه أول من أسس وحدة المظلات في اليمن مع القوات العربية المصرية.

وفي هذه اللحظات سقطت عدة قذائف على السيارات المدنية التي كانت تحمل الذخيرة والمؤن الأخرى وقد قتلت مجموعة أخرى وجرح البعض لم نعرف عددهم أو أسماءهم لان الوضع كان خطيراً جداً وكل فرد كان يبحث عن مكان يلجأ إليه في جحيم مدافع الملكية ورشاشاتها عيار-(50) أمريكي الصنع أما الفريق فقد دخل في سيارته التي تبين أنها ضد الرصاص وضد الشظايا وبينما أفراد المقاومة يقاتلون بسلاحهم التشيكي وكذلك نحن بعض أفراد حرس الفريق الذين لم يكونوا يعرفون أن الفريق سوف يفر هارباً، وسقطت عدة قذائف أخرى في عدة أماكن من التبة واشتد الضرب على كل متر ونقطة حتى الرشاشات الثقيلة أخذت تصب نيرانها بغزارة على كل من يحاول اللحاق بسيارات الفريق والسيارات المنسحبة وقد ترك الفريق الجرحى والقتلى على ارض المعركة ولم يأخذ معه واحدا منهم، وعندما هرب الفريق بعد الانكسار الذي منينا به في ذلك اليوم الأول، للهجوم لفتح طريق تعز- صنعاء واجهنا صدمة عنيفة نحن الباقين في تلك (التبة) عندما وجدنا أنفسنا تحت الحصار ووجدنا أن الفريق قد هرب مع جميع السيارات عدا ثلاث سيارات مدنية وأخرى عسكرية كانت قد عطلت وسقط البعض منها وكانت قد دمرت بما فيها من عتاد وما بقي سقط بيد العدو وكانت مواقعنا قد بدأت توجه نيرانها من تباب مواقعنا في(الحفاء) جنوب جبل نقم على مواقع (الملكيين) وبعد ربع ساعة لم نشعر إلا بهجوم سيارات (فورد) الأمريكية (ونيت) السريعة التي كانت تحمل القاذف الصاروخي والرشاشات الخفيفة والثقيلة وقد اندفعت نحونا وكانت مواقع مدفعيتنا بعيدة عنا، بينما أرسل قائد سلاح المدرعات ثلاث دبابات إلى مسافة كيلومترين من التبة التي كنا محاصرين فيها وقد حاولنا الانسحاب بعد أن وصلت إلينا سيارتان نقلتا بعض الجرحى والقتلى من التبة التي سميت (تبة العمري) فيما بعد، وهي تقع بالقرب من سواد حزيز في المكان الذي قتل فيه الطاغية الإمام يحيى حميد الدين في حركة 1948م، وعندما تأكدنا من إخلاء القتلى والجرحى حاولنا الانسحاب وثبت لنا أن جميع الأفراد انسحبوا ولم يبق إلا عشرة من الحرس والباقي من المقاومة الشعبية وأحد المقاتلين من لواء الثورة كان في إجازة فاندفع متطوعاً . وكان احد الجرحى قد ترك على بعد (150) متراً من التبة طرف غيل صنعاء وكان الجرح في يده اليسرى بليغا جداً وبينما كنا في حالة انسحاب إذا بالملكيين يهجمون علينا ويحاولون أسرنا ولكن قصف الدبابات كان قد اقترب منا وساعدنا وحمى انسحابنا والخروج من الحصار كما ساعدنا قصف مدفعيتنا من مواقع الحفاء. وقد انسحبنا تحت قصف عنيف من مدفعية العدو وكانت الأطيان التي انسحبنا منها محروثة بالحراثة فكانت أحذيتنا تغوص في الطين ما سبب صعوبة شديدة في سرعة الانسحاب وكانت ضربات الرشاشات الثقيلة شديدة التأثير علينا ولم نستطع مواصلة الانسحاب إلا على دفعات صغيرة وكانت طلقات العدو تنزل علينا مثل البرد وكان علينا السقوط على الأرض كلما سمعنا أزيز قذائف هاون العدو الأمريكي التي تحمل يد الصداقة الملعونة حتى اقتربنا من منبع غيل صنعاء. وكان غير معروف لنا مسبقاً حتى تلك اللحظة الرهيبة ونحن نواجه الموت المحقق حيث ساعدنا كثيراً النزول والبقاء فيه وحمانا من ضرب الرشاش ومدفعية العدو فقد كان شبيها بخندق هندسي وكان يتجه نحو صنعاء.

وكان احد الجرحى آنف الذكر قد نزل فيه وبجانبه فرد يساعده وبالرغم من الإرهاق وحرارة الشمس وجو المعركة وبعد نصف ساعة من المشي وسط غيل صنعاء بين الماء والوحل الطين وصلنا إلى أطقم الدبابات، وكان تعاملهم مستمراً مع مدفعية العدو وبصورة غاضبة وكان تأثرهم أكثر وغضبهم اكبر من خطة الهجوم المكشوفة والفاشلة فلم يحدث أن قائدا عسكريا يهاجم في وضح النهار ومن أمام العدو وبدون قوة وبدون تخطيط وإعداد لذلك الهجوم وتبين لنا أن القبائل التي كانت قد تجمعت صباح ذلك اليوم في بيت معياد خارج صنعاء قد أخذت النقود والذخيرة وعادت إلى صنعاء وبدؤوا على الفور ببيع الذخيرة بشكل مكشوف. وتلك كانت حالة الجمهورية مع القبائل بشكل عام منذ قيام الثورة والجمهورية وطيلة فترة الحرب (الأهلية) كما سميت والتحريرية.

وقد فهمنا بعد العودة إلى صنعاء أن الفريق العمري كان يريد حدوث خسائر بين صفوف المقاومة الشعبية والجنود المدافعين عن صنعاء الجمهورية حتى يدب اليأس في صفوف القوى الجمهورية المدافعة عن صنعاء وكانت نتائج تلك العملية سيئة للغاية إذ أثرت على معنويات الجنود المدافعين عن مواقع جبل نقم وبراش والنهدين لأنهم كانوا يراقبون المعركة من الصباح وعند وصولنا إلى مواقع الحفاء في حالة إنهاك شديد، حدث هجوم على ما تبقى من السيارات والعتاد في تلك التبة وخاصة السيارات التي أصيبت في كفراتها وسلمت من الحرق.

ويمكن استخلاص عدة نقاط من تلك المعركة كما يلي:

•كانت المعركة عملية مرتجلة وغير مخططة ولم تكن لدى الفريق أي قوة للهجوم وكان لا ينوي من هذه المعركة سوى تحطيم معنويات الجنود والمقاومة الشعبية في صنعاء المحاصرة، حتى يحقق هدفه الخفي بتسليم صنعاء بعد رفض القوى الوطنية المقترح في الاجتماع الذي صوتوا ضده وطرحوا(الجمهورية أو الموت).

•كانت نتائج الانكسار الذي منينا به سلبية تماما على جميع المواقع العسكرية المدافعة عن صنعاء.

•أعطت المعركة صورة للمرتزقة والملكيين بأننا غير قادرين على القيام بأي محاولة مماثلة لتلك المحاولة الفاشلة، وكنت قد طرحت للفريق صباح ذلك اليوم وقبل تحركنا من بيت معياد انه لابد أن يكون الهجوم منظماً ومن جهات مختلفة وخاصة من الجبال الإستراتيجية،إلا انه - أي الفريق العمري - سخر من كلامي وأجاب بعصبية قائلا:(لابد من فتح الطريق اليوم وهذا العدو جبان أول ما تظهر عليه يهرب) ولم اكرر الحديث معه فقد أصبت بخيبة أمل أن يكون رأيه وتصوره للعدو بتلك الصورة الغريبة، وبعد هذه المحاولة الفاشلة، وهي الأولى منذ بداية الحصار، شعرت كما شعر كل جندي وضابط بمرارة من تلك الأعمال الفوضوية التي يقوم بها الفريق، لكننا لم نكن نعرف نواياه الحقيقية والدور الذي كلف به، ولم يتضح دوره إلا فيما بعد الحصار.

•من قرأ صحف بيروت بعد الحصار يستطيع التأكد من تلك التسمية التي أطلقتها على أبلد قائد عسكري عرفه شعبنا اليمني لقد عاد الفريق إلى بيته وهو مرتاح البال، فقد حقق الهدف المطلوب وهو كسر وتحطيم معنويات المدافعين عن صنعاء وبدأ يردد عبارات مثل:(إن الملكيين كلاب، وانه قد أوقع بهم خسائر كبيرة"؟) بينما الحقيقة، هي كما شرحتها وكانت تلك أول معركة أخوضها مع حرس الفريق حسن العمري في بداية حصار صنعاء، الملحمة التاريخية، التي ثبت فيها النظام الجمهوري والثورة الخالدة بعد انسحاب القوات العربية المصرية بعد هزيمة يونيو1967م وعدنا إلى مواقع الحفاء مع الجريح الذي تم إسعافه إلى مستشفى الثورة،فورا وقد أمسينا،إلى جانب جنود المدفعية الذين كانوا يشكون من مشاكلهم العديدة فقد تبين لنا أنهم بدون ملابس وأحذية، وتبين أن أطقم المدفعية ناقصة وغير مكتملة ولم يكن هناك إلا خمسة أفراد بعد المدفع عيار (85) مم/د الذي يفترض أن يكون عدد أفراده ثمانية أفراد، كذلك لم تكن هناك حماية كافية من جنود المشاة ومع هذا كان الجنود مصممين على الدفاع عن الجمهورية حتى النصر أو الموت، وكانت معنوياتهم عالية جدا وفي تلك الليلة تشجع الملكيون في جميع الجبهات المحيطة بصنعاء وشنوا هجوماً عنيفا في قرية الجرداء التي كانت على مقربة من الحفاء وسط الوادي حتى احتلوا نصف القرية كما احتلوا تبة الحفاء المطلة على مواقع مدفعية الحفاء قرب جبل نقم، وكان هجوم تلك الليلة عنيفا فلجأنا إلى طلب النجدة من وحدة الصاعقة التي أرسلت فصيلة من الصاعقة تمكنت من استعادة التبتين عند الفجر،بعد قتال عنيف استمر طوال تلك الليلة.

أما جبل نقم وحصن براش وتباب النهدين فقد شهدت تلك المواقع معركة مستمرة حتى الصباح وقد تمكن الملكيون مع مرتزقة أمريكا والسعودية من احتلال تبتي النهدين جنوب المطار الجنوبي بعد أن طردوا سرية من مجندي اللواء العاشر، وبعد أن دارت المعركة بالسلاح الأبيض سقط خلالها العشرات من الشهداء من سرية اللواء العاشر ولكنها أعيدت بهجوم مضاد عند فجر اليوم الثاني وتمت إبادة مجموعة كبيرة من القبائل والمرتزقة. وقد لعبت المدفعية دورا مهماً ورئيساً في إبادة تجمعات العدو في تبتي النهدين بالذات بسبب قربها من مواقع المدفعية التي كانت في المطار الجنوبي، على بعد كيلومتر تقريبا من تبتي النهدين .

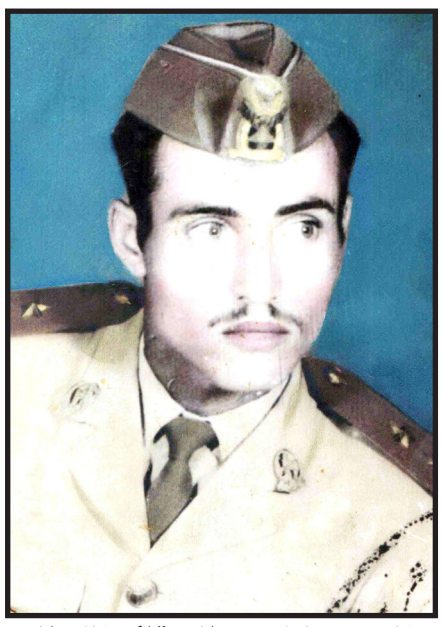

العقيد الركن صالح قائد الكهالي

وفي اليوم الثاني عدنا بسيارة المدفعية من مواقع الحفاء متجهين إلى صنعاء وكنا نتوقع الموت في كل ثانية وفي كل دقيقة كانت معنوياتنا، رغم هذا النصر، ما تزال مرهقة وحزينة بسبب فشل الهجوم الذي قاده الفريق حسن العمري الذي كان القائد العام للجيش، كما أن بقية المواقع المدافعة عن صنعاء كان قد وصلها الخبر، وكان له اثر نفسي سيئ ولم يكن احد يعرف أن الفريق العمري كان يريد لنا تلك الهزيمة التي كان هو على رأسها وعلى رأس مدبريها، ووصلنا صنعاء وكانت شظية المدفع الهاون التي أصابتني في اليوم الأول لا تزال تحت جلد رأسي وكانت الحمى قد بدأت تزلزل كل جسمي. أنزلتنا السيارة في باب اليمن، فاتجهت نحو مستشفى الثورة العام الذي بني بمساعدة الاتحاد السوفييتي، وكان حتى ذلك التاريخ واليوم، بعيداً عن القصف المدفعي للملكيين المرتزقة وتم في المستشفى إخراج الشظية وحصلت على العلاج اللازم للحمى الشديدة التي كانت قد أثرت علي تأثيرا شديدا وتبين أنها كانت بحجم الإبرة الكبيرة ولها زعانف في جميع جوانبها وخرجت من المستشفى بعد العلاج، وكانت الساعة التاسعة صباحا وكانت قذائف مدفعية الملكيين الصاروخية التي كانت تطلق من بيت بوس في اتجاه باب (الحرية واليمن) من صنعاء القديمة تهز بانفجاراتها مدينة صنعاء بأكملها، وكان الهدف من التركيز على باب اليمن هو وجود المباني الجديدة ومحطة البترول هناك التي شيدت بعد قيام الثورة. وقد كنا نحذر من المشي في شوارع صنعاء حتى لا نقع صيدا سهلا لقذائف ،وقنابل مدفعية العدو وبينما كنا في موقع القتال الأمامية الأخرى لسنا بحاجة لمثل هذا الحذر، نظراً لوجود المراقبة التي كانت يقظة ومنتبهة لأية محاولة قصف لمواقعنا.

كنا نفضل عند دخول صنعاء ركوب الدراجات النارية السريعة حتى نتجنب الوقوع، ضحية للقصف الجنوني الطائش الذي لم يكن يميز بين السكان المدنيين والمواقع العسكرية وكان من يسقط في شوارع صنعاء إثناء مروره بها وخاصة نحن العسكريين، يوصف:(بالجبن والتهرب من مواقع القتال) وقد حدث أن سقط بعض الجنود بينما هم يمرون بشوارع صنعاء فكانت النتيجة اتهامهم بالخوف من القتال وبالهروب إلى صنعاء من المواقع التي كانت تتلقى سيلا من القذائف يكاد يكون مستمراً وبدون انقطاع. لقد كنت أسأل نفسي دائما: لماذا هذا التصرف الساذج من قبل الفريق حسن العمري القائد العام للقوات المسلحة؟ يا لها من بلادة إلا يطبق التكتيك العسكري الذي تعلمناه بالكلية الحربية كيف حدث هذا الهجوم الأبله لقد وقعنا كما تقع الفئران في المصيدة فقد دفع بنا الفريق إلى قبضة العدو وأصبحنا تحت رحمة مدفعيته وأسلحته وهو يطوقنا من جميع الجهات، ولم استطع تحمل الصدمة الشنيعة التي منينا بها فزادت الحمى ارتفاعا وقد اعتنت بي عمتي في بيتهم بصنعاء القديمة عناية كاملة واستخدمت العلاج بصورة منتظمة والكمادات، وبقيت في البيت ونمت من الساعة العاشرة صباحاً حتى السادسة ليلا عندما بدأ أذان الإفطار ومعه اخذ الملكيون يوجهون قصفهم الشديد اعتقادا منهم أن ذلك الوقت هو الوقت الملائم الذي يمكن أن يصيبوا خلاله اكبر عدد من الناس،وكان البيت الذي انزل فيه يقع في الأحياء القديمة في سوق الملح وفهمت أن اغلب سكان البيوت المجاورة هم من أنصار الملكية والإمام، ولذلك فقصف هذه (الأحياء والحارات) كما تسمى في صنعاء غير وارد . لقد قصفت المدينة في تلك الليلة بحوالي ستين قذيفة شديدة الانفجار كانت كلها مركزة على الشوارع الجديدة وقيادة الجيش (بالعرضي) ومقر قيادة سلاح المدفعية الذي يقع خارج باب اليمن (الحرية)، وعرفت أن إحدى القذائف قد سقطت على الطابق العلوي لأحد المباني المجاورة لباب الحرية وقد دمرت (المفرج) الأعلى وسقطت قذيفة أخرى على ركن بيت احد الجزارين فانهارت العمارة بكاملها فقتلت زوجة الجزار مع خمس من بناته دفن تحت الأنقاض، وسرت شائعات تقول:(أن الجزار كان ظالما وسيئا للمواطنين) حيث كان يعاملهم بحقد وخاصة الفقراء منهم وتبين انه رجعي.

يتبع

■ يسار الصورة العميد محفوظ سعيد الحكومة. قائد سلاح السواحل إلى عام 1983
■ وسط الصورة العميد عبدالسلام نعمان نائب قائد لواء الحديدة
■ يمين الصورة أمين أحمد سيف المغلس (تونج)

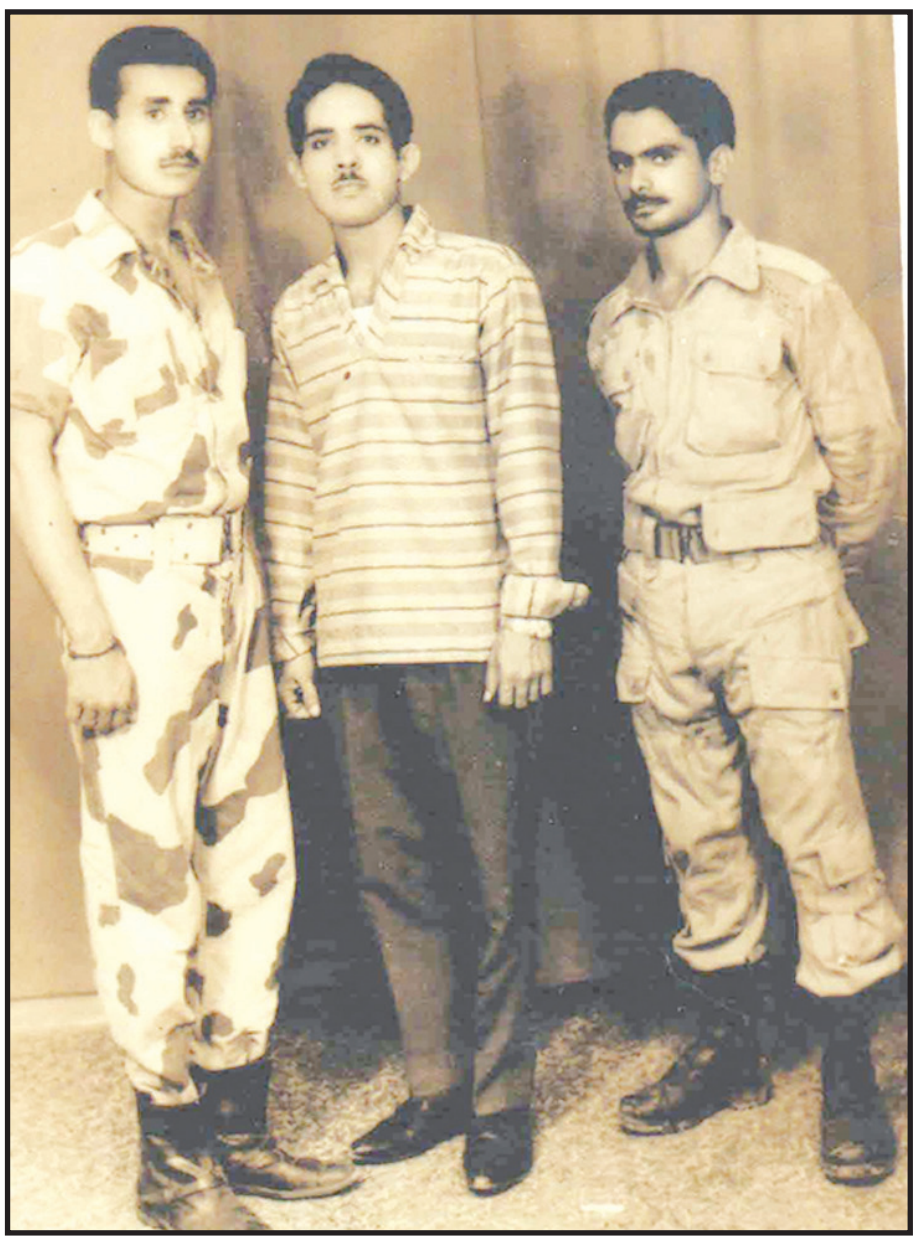

■ الشهيد ملازم أول عبده قاسم الصلوي مدرب الصاعقة الأول شهيد السبعين في منطقة دار حيد ورفيق معد الكتاب في أول دفعة صاعقة في اليمن أيام الشهيد النقيب حسن رسمي المصري 1963م وكان أول قائد دفعة صاعقة يمنية
■ وسط الصورة شرف الوشلي الدفعة الأولى ورفيق الشهيد جار الله عمر
■ يمين الصورة رقيب أمين أحمد سيف المغلس دفعة ثانية صاعقة التقطت الصورة عام 1963